البلاغة العربية :

البلاغة العربية هي أحد علوم اللغة العربية، وتشكل مع النقد الادبي معياراً للنصوص الادبية، لأنها تكون الاساس الذي ينطلق منه الناقد لإصدار حكمه على النص الادبي وبيان جودته. وقد اسهمت الدراسات البلاغية اسهاماً واسعاً في خدمة النص القرآني وتفسير نصوصه وبيان جمالية هذه النصوص، وبحثت في سر اعجاز النص القرآني وتفوقه على النصوص الابداعية البشرية، من خلال البحث في اسلوبه وطريقة صياغته المعاني عن طريق الالفاظ المتناسقة الرشيقة.

والمعنى اللغوي للبلاغة يعني (الوصول والانتهاء)، وهي مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت اليها، ويقال بلغ فلان مراده وغايته إذا وصل اليها، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى اليها، وتختص البلاغة في الكلام وليس في المتكلم، وحين نطلق على المتكلم بأنه بليغ فان ذلك يكون من باب التوسع وفي الحقيقة ان كلامه بليغ، لذا فان البلاغة ترتبط بالكلام، وقد سميت البلاغة بلاغة لأنها تبلغ المعنى وتوصله الى قلب السامع وفكره الذي يقوم بإدراكه وفهمه.

وهناك لفظ يقترب من مفهوم البلاغة وهو لفظ الفصاحة، والفصاحة في معناها اللغوي هي البيان والظهور كما في قوله تعالى: ((وأخي هارون هو أفصح مني لساناً)) أي اظهر مني قولاً وأبين مني منطقاً، ويقال: أفصح الصبح إذا اضاء، وأفصح الصبي في منطقه إذا بان كلامه وظهر، وأفصح اللبن: إذا انجلت عنه رغوته فظهر.

ومن خلال المقارنة بين معنى البلاغة والفصاحة نجد ان بينهما تقارب وتداخل لانهما يدلان على المعنى وتبليغه واظهاره وتوصيله الى السامع او المتلقي، وهذا ما يذهب اليه بعض البلاغيين الذين يرون ان البلاغة والفصاحة لفظان مختلفان ولكن المعنى واحد.

أما البعض الآخر من البلاغيين فيذهب الى التفريق بين البلاغة والفصاحة، فيرى ان الفصاحة تختص بالألفاظ والبلاغة تختص بالمعاني، أي ان الفصاحة تعنى باللفظ قبل ان ينتقل هذا اللفظ الى المتلقي، بينما البلاغة تختص باللفظ حين ينتقل الى المتلقي ويؤثر عليه تأثيراً فكرياً أو وجدانياً، أي ان البلاغة تهتم بالجانب التداولي للغة. وعلى ضوء ذلك تكون الفصاحة تتباين مع البلاغة تباينا واضحا.

والبلاغة لم تكن مقصورة على العرب أو على أمة من دون أخرى، وانما هي سمة عظيمة القدر في اللغات التي بلغت درجة كبيرة من التطور والارتقاء. فقد اهتمت الأمم بتدوين بلاغتها وأصولها لتكون عوناً للدارسين وأُسساً نقدية واضحة للحكم على النصوص الإبداعية. ولعل اليونانيين كانوا من أوائل الأمم التي حاولت تدوين بلاغتها الأدبية التي كانت قواعدها مشتقة من النصوص الشعرية والملحمية والمسرحية، وقد تجلى ذلك في طروحات الفيلسوف (أرسطوطاليس) عندما وضع كتابيه: ((فن الشعر)) و ((الخطابة))، وقد عرض فيهما الموضوعات البلاغية مثل: الرجاء والامر والاستفهام والمجاز والتشبيه، وتحدث عن حسن استعمال طرق التعبير وتحدث كذلك عن الايجاز والاطناب والكناية.

أما عند الرومان فقد وضع (هوراس) كتابه (فن الشعر) الذي تطرق فيه عن طبيعة الفن والالهام ووظيفة الشعر، ولكنه لم يضع اسساً فنية تسهم في تحليل النص الشعري كما فعل ارسطو في (فن الشعر).

أسباب نشأة البلاغة العربية:

لقد تضافرت أسباب كثيرة دفعت العرب الى الحفاظ على الدراسات البلاغية وتدوينها، والاهتمام بها والمحافظة عليها، ولعل من اهم هذه الأسباب:

1. **الغرض الديني**:

وهو خدمة النص القرآني الذي كان معجزة لغوية وأدبية تحدى الانس والجن، ولكي يبرهن العرب على اعجازه ويفهموا آياته واسلوبه اللغوي المبدع الذي لا يقارب الأساليب البشرية ولا يدانيها، ولذلك اتجهوا الى دراسة البلاغة وتدوينها في محاولتهم للكشف عن بعض جوانب الاعجاز القرآني ومحاولة تفسير ذلك الاعجاز، لذلك اتجهوا الى البلاغة وفنونها وتأسيس اقسامها كي تساعدهم وتمدهم العون في فهم النص القرآني وتحليل آياته، وقد كان هذا الغرض من اهم الأهداف التي دفعتهم الى البحث والتأليف في البلاغة.

2. **الغرض التعليمي:**

وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة اساليبها بعد اتصال العرب بالأمم الباقية، فقد أدى ذلك الى فساد اللغة ودخول اللحن (الخطأ الاعرابي) فيها. فضلاً عن ذلك ان كثيراً من المسلمين كانوا محتاجين الى تعلم العربية وبلاغتها كي يفهموا النص القرآني ويدركوا معانيه واساليبه البلاغية. وأحياناً تكون الموهبة الكتابية الإبداعية هي السبب للوصول الى المناصب الرفيعة في الدولة، لذا تكون دراسة البلاغة وتذوقها من اهم الطرق التي توصل الى هذه الغاية وتخدمها، فبدأ البعض بتعلم أساليب العربية ليصبح قادرا على التعبير المبدع وانشاء الرسائل والوصول الى المناصب التي يصبو اليها.

3. **الغرض النقدي:**

وهو تمييز الكلام الجيد من الرديء، والموازنة بين النصوص الإبداعية من قصائد وخطب ورسائل وأمثال، والبلاغة تنفع الناقد كثيراً، لأنها تقدم اليه الالة التي تعينه على الفهم والحكم، ولذلك نجد القدماء يهتمون بالبلاغة اهتماماً كبيراً ويؤلفون فيها الكتب الوفيرة.

اقسام البلاغة العربية: وتقسم البلاغة العربية الى اقسام ثلاثة رئيسة هي:

1. علم المعاني
2. علم البيان
3. علم البديع

علم المعاني:

علم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع، وقد كانت البلاغة العربية في بداية الامر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد او تمييز، وهذا ما نلاحظه في الكتب البلاغية الأولى التي الفها علماء البلاغة العرب، وفي هذه الكتب نجد التداخل بين علوم البلاغة واضحاً فيها من دون تمييز علم المعاني عن علم البيان او علم البديع، لذا نجد الكتب البلاغية الأولى عاجزة عن الفصل بين علوم البلاغة، بسبب عدم نضج الفكر النقدي والبلاغي في مراحله التاريخية الأولى.

وعلم المعاني من اهم المباحث التي أطلقها البلاغيون على المباحث التي تحاول دراسة الجملة العربية على مستوى البيت الشعري والآية القرآنية والحديث النبوي، وما يطرأ على هذه الجملة من تقديم وتأخير وفصل ووصل وايجاز واطناب وقصر وتخصيص. أي في المباحث البلاغية التي تتجاوز القضايا النحوية الى ابعاد بلاغية أخرى.

ولم يكن هذا المصطلح معروفاً عند البلاغيين الأوائل، ولعل أول من استعمله بمعناه القريب من البلاغة هو أبو سعيد السيرافي (368 هجري) في المناظرة التي جرت بينه وبين متّى بن يونس. وتطرق احمد بن فارس (395 هجري) في كتابه ((الصاحبي)) الى علم المعاني، حيث وضع باباً في كتابه اسماه ((معاني الكلام)).

وأخذ علماء البلاغة يتجهون الى الاستقلال والتخصص عندما نضج الفكر البلاغي العربي، وأخذت مسائل كل فن بلاغي تنضج وتتبلور الواحدة تلو الأخرى، وظل الأمر كذلك حتى جاء عبد القاهر الجرجاني (471 هجري) عندما وضع نظرية علم المعاني في كتابه (دلائل الاعجاز) ونظرية علم البيان في كتابه (اسرار البلاغة)، كما وضع ابن المعتز أساس علم البديع.

ويتناول علم المعاني دراسة الجملة العربية -كما أسلفنا – عبر تشكيلها النسقي، لذا يراه البعض يقترب من علم الأسلوب، اما اهم الموضوعات التي يدرسها هذا العلم فهي (الخبر والانشاء، المسند والمسند اليه، الفعل ومتعلقاته، الفصل والوصل، القصر وانواعه، الايجاز والاطناب).

وإذا كان علم المعاني قريباً من النحو العربي فانه يختلف عنه في معالجة الموضوعات، وقد فصل القول في ذلك الناقد عبد القاهر الجرجاني، فهو يرى ان الدلالة او المعنى في الجملة تتكون من مستويين:

المعنى الأول (النحوي) والمعنى الثاني (البلاغي)، ويرى هذا الناقد ان المتلقي لا يريد المعنى الأول القريب، وانما يرمي الى المعنى الثاني ويهدف اليه، وقد أطلق عليه (معنى المعنى) وبذلك سبق النقد الحديث في هذا المفهوم، أي ان الخطوة الأولى في التعبير هي صحة الكلام من حيث التركيب النحوي والالتزام بقواعد النحو، والخطوة الثانية هي فهم الكلام وتحليل ما فيه من المعاني والبحث عن القضايا الجمالية والبلاغية في الكلام.